81 - السيدة زينب بنت مظعون

المهاجرة زوجة أمير المؤمنين

اسمها زينب، والدها مظعون بن حبيب بن وهب وإخوتها عثمان، وقدامة، وعبد الله أبناء مظعون، تزوَّجها عمر بن الخطَّاب ﷺ، فولدت له عبد الله بن عمر الصحابيَّ الجليل، وحفصة بنت عمر إحدى أمهات المؤمنين، وعبد الرحمن.

هاجرت مع ابنتها حفصة بنت عمر ﷺ إلى المدينة، وكان إخوتها الثلاثة مع ابن أخيها السائب بن عثمان من مهاجرة الحبشة ﷺ.

وتمَّت هجرة الصحابة سرّاً وفي غفلةٍ من قريش ورقبائها، إلا ما كان من هجرة زوجها عمر بن الخطَّاب ﷺ، فقد جاء قريشاً في ناديها، وأخبرهم بهجرته، وتحدَّى من يعترض سبيله بالقتل، فما قام خلفه أحدٌ، ويُروى أن عمر قال حين أسلم أبياتاً ذكرها ابن هشام في سيرته، منها:

الحَمْد لله ذي المَنِّ الَّذي وَجَبَتْ ... لَهُ عَلَيْنَا أَيَادٍ مَا لَهَا غِيَرُ
وقَدْ بَدأْنَا فَكَذَّبْنَا فَقَالَ لَنَا ... صِدْقَ الحَدِيْثِ نَبِيٌّ عِنْدَهُ الخَبَرُ
وَقَدْ ظَلَمْتُ ابْنَة الخَطَّابُ ثُمَّ هَدَى ... رَبٌّ عَشِيَّةَ قَالُوا: قَدْ صَبَا عُمَرُ
وَقَدْ نَدِمْتُ عَلى ما كان مِنْ زَلَلٍ ... بِظُلْمِهَا حِيْن تُتْلَى عِنْدَهَا السُّوَرُ
لَمَّا دَعَتْ رَبَّهَا ذَا العَرْشِ جاهِدَةً ... والدَّمْعُ مِنْ عَيْنِهَا عَجْلاَنَ يَبْتَدِرُ
أَيْقَنْتُ أَنَّ الَّذِي تَدْعُوهُ خَالِقَهَا ... فَكَادَ تَسْبِقنِي مِنْ عَبْرَةٍ دُرَرُ
فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنَّ الله خَالِقَنَا ... وأَنَّ أَحْمَدَ فِيْنَا اليَوْمَ مُشْتَهَرُ
نَبِيَّ صِدْقٍ أَتَى بالحَقِّ مِنْ ثِقَةٍ ... وافِي الأَمَانَةِ مَا فِي عُوْدِهِ خَدَرُ

محبة النبي ﷺ لأسرتها

وكان أبو السائب عثمان بن مظعون ﷺ أخو زينب ﷺ رجلاً شهماً أبياً، وكان في مكة يروح ويغدو في جوار الوليد بن المغيرة، فلما رأى ما يلاقيه أصحابه من الشدة والبلاء، وهو يروح ويغدو آمناً لم يعجبه ذلك، فقال: والله إن غُدوِّي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في سبيل الله ما لا يصيبني لَنَقْصٌ كبير في نفسي.

فمشى إلى الوليد وقال له: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك، قد رددت إليك جوارك، فقال له الوليد: لِمَ يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي؟ فقال عثمان: لا، ولكني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره، قال الوليد: هيا إلى المسجد فاردد عليَّ جواري علانية، كما أجرتك علانية.

وهناك قال الوليد للناس: هذا عثمان جاء يرد عليَّ جواري، قال عثمان: صدق، قد وجدته وفياً كريم الجوار، ولكني قد أحببت ألا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره؛ ثم انصرف عثمان.

وفيما كان الشاعر لبيد بن ربيعة ينشد قريشاً سمعه عثمان يقول:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الله بَاطِلٌ

فقال عثمان: صدقت، وتابع لبيد إنشاده، فقال:

وَكُلُ نَعِيْمٍ لا مَحَالَةَ زَائِلُ

فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول، فقال لبيد: يا معشر قريش، والله ما كان يُؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟ فقام رجل من القوم فضرب عثمان فآذى عينه، وكان الوليد حاضراً فقال: أما والله يا ابن أخي، قد كانت عينك غنية عما أصابها، وكنت في ذمة منيعة، فقال عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في سبيل الله، وإني لفي جوار من هو أعزُّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس.

ولما مات عثمان أكبَّ رسول الله ﷺ على وجهه يقبِّله ويبكي فقد كان له محبّاً، وعلى فراقه حزيناً.

لقد عاشت زينب في أسرة أبِيّة كريمة في أهلها، ثم كانت في أسرة عزيزة وفية، راعيها إمام العدل عمر ﷺ الذي أعزَّ الله به الإسلام، بعد دعوة خير الأنام، عليه الصلاة والسلام، رحم الله زينب، وشكر سعيها.